IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E) : 2707 – 5648 II ISSN (P) : 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 4 , العدد 1, حزيران 2023

اثر اختلال الفكرة الإسلامية على النهوض الحضاري عند عبدالمجيد النجار (دراسة فكرية)

م. د. طارق خلف فهد الحداد [1]

الملخص

بعد حمد الله وشكره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، نقول: إن البحث يتلخص في كونه يبحث في مسألة مهمة تتعلق بحضارتنا الإسلامية، ألا وهي أثر اختلال الفكرة الإسلامية في النهوض الحضاري عند عبدالمجيد النجار دراسة فكرية، وذلك لبيان اثر هذا الاختلال على الانطلاق الحضاري الإسلامي، وخلصت الدراسة إلى أهم الأسباب منها: الفكرة الإسلامية هي العامل الأساسي في نشوء الحضارة وتطورها، والتي تدفع نحو النهوض الحضاري للمجتمعات، وكذلك الفكرة الإسلامية أذهان المسلمين اليوم صبغها العامة إسلامية، لكنها مصابة في بعض أركانها الأساسية بوهن أو تشويه أو اضطراب أو انحراف، فجعلها تميل إلى الإخلاد في الأرض.

الكلمات مفتاحية: الحضارة، الاختلال، الفكرة، النهوض، الحضاري

انتساب الباحث

[1] قسم الدعوة والفكر، كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة، العراق، بغداد، 10022

[1] tariq88hk@gmail.com

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث

تأريخ النشر : حزيران 2023

The Impact of the Disruption of the Islamic Idea on the Civilizational Advancement of Abdul Majeed Al-Najjar (Intellectual Study)

Dr. Tariq Khalaf Fahad Al-Hadadd [1]

Abstract

After the praise and thanks of God, and prayers and peace be upon our master Muhammad and his family and companions, we say: The research is summed up in the fact that it examines the issue of a place in our Islamic civilization, which is the effect of the disruption of the idea on the civilizational advancement of Abdul Majeed Al-Najjar as an intellectual study, to show the impact of this imbalance on the launch The Islamic civilization, and the study concluded with the main reasons, including: The Islamic idea is the main factor in the emergence and development of civilization, the emergence of the emergence of the emergence of civilization and primary or deviation, making it tend to eternity in the earth.

Keywords: civilization, imbalance, idea, advancement, civilization

Affiliation of Author

[1] Imam Azam University College, Iraq, Baghdad, 10022

[1] tariq88hk@gmail.com

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.

Published: June 2023

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وبعد:

فإن مُشكلة كل أمة من الأمم هي في جوهرها مشكلة حضارتها، ولا يمكن لأمة أن تفهَم أو تحلَّ مشكلاتها ما لم تتخطَّ عوائق التقدُّم والرقي؛ وما لم تترفَّع عن التفكير الساذج والعقيم، وما لم تتعمَّق في فَهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها؛ هذا وغيره من المؤثِّرات بطريق أو بآخر؛ إن لم تؤخذ بعقل الجد وفكر واعٍ فلن تكون للأمة قائمة، ولن تعدو قدرها، ومصيرها لا محال إلى الزوال، فكان لزامًا عليها أن تَرتفِع بفكرتها إلى الأحداث الإنسانية والعلاقات البشرية، مع التزام الصدق مع الذات ومع الآخَر، ذلك أن العنصر الأهمَّ في حلقة الحضارة هو الإنسان؛ فلا بدَّ من حسن صناعته.

فقد تطرق عبد المجيد النجار في مؤلفاته عن عوائق النهوض الحضاري مبينًا تلك العوائق، فجاء بحثي هذا بعنوان **(اثر اختلال الفكرة الإسلامية على النهوض الحضاري عند عبد المجيد النجار دراسة فكرية)**، لبيان اثر هذا الاختلال على النهوض الحضاري للامة الإسلامية.

أهداف الدراسة:

1. العمل على توعية أبناء الأمة الإسلامية بخطورة الغياب الحضاري.

2. بيان الاختلال الذي أصاب الفكرة الإسلامية من تشويه أو انحراف.
3. تمكين الفرد المسلم من تجاوز الشعور بالدونية واللافاعلية من أجل الاستثمار الإيجابي للبيئة الكونية.
4. بيان وظيفة وغاية الإنسان في البناء والتعمير الحضاري.
5. المساهمة ولو بشيء قليل في رفد الحضارة الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الدور التنظيمي الذي تؤديه الفكرة الإسلامية في البناء، وتشكيل التصور الذي ينبغي أن يحمله الفرد المسلم اليوم عن نفسه وعن الكون من جهة، وعن علاقته بالكون من جهة أخرى، وكيف يمكنه تسديد تصرفاته مع الكون بناءً على هذا التصور، وهذا لا يتحقق إلا بالوقوف على آفاق العقيدة، وإبراز مدى فاعلية العقيدة الإسلامية وإسهامها في إعداد الفرد المسلم للدفع به إلى النهوض الحضاري المطلوب.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي ومن خلال جمع المعلومات حول قضية معينة من كتب عبد المجيد النجار وتحليلها، والوقوف على جوانبها المختلفة، لبيان أثر اختلال الفكرة الإسلامية على النهوض الحضاري المنشود.

خطة البحث:

فقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومبحث تمهيدي، وثلاثة مباحث، وخاتمة

مبحث تمهيدي: تحديد المصطلحات.

المبحث الأول: مظاهر اختلال الفكرة الإسلامية.

المبحث الثاني: أسباب اختلال الفكرة الإسلامية.

المبحث الثالث: اثر اختلال الفكرة الإسلامية على النهوض الحضاري.

الخاتمة: اهم النتائج التي توصلت اليها.

مبحث تمهيدي

تحديد المصطلحات

أولًا: مفهوم الفكر لغة واصطلاحًا:

الفكر لغة: إعمال النظر في الشيء، أو إعمال الخاطر في الشيء وهو العقل، وقيل هو تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً، وأجمع أفكار، والتفكر هو التأمل[1].

الفكر اصطلاحًا: مفهوم الفكر الإسلامي من المفاهيم التي تناولها العلماء بالبحث، ودارت حول هذا المصطلح عدَّة تعريفات ومفاهيم نذكر منها:

الفكر الإسلامي: هو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول اللهρ إلى اليوم، في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدةً وشريعةً وسلوكاً[2].

وعرف أيضا: المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسولρ إلى جوار ربه لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه[3].

ثانيًا: مفهوم النهوض لغة واصطلاحًا

النهوض لغة: مفرد مصدر نهض، نهضة: حركة وهمة، وثبة في سبيل التقدم الاجتماعي والفكري وغيرهما[4].

النهضة اصطلاحًا: بأنها حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون القطيعة مع الماضي، وتشمل مجالات العلم والدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع وما إلى ذلك، فهذه الحياة الجديدة لإمكانية الفعل التاريخي، ولإمكانية النظر للكون بمنظار جديد، هي السمة الأساسية لما لعصر النهضة، وهي في الوقت نفسه الحركة التي تقودها هذه النخب وتتعرض للاضطهاد والمقاومة[5].

ثالثًا: مفهوم الحضارة لغة واصطلاًحا.

إن تعريف الحضارة أمر مختلف، حيث إنه يتضمن العديد من المفاهيم والتناقضات، فيما يأتي نذكر أهم وأشمل تعريف للحضارة والذي ينقسم على قسمين هما تعريفها من حيث اللغة والاصطلاح.

الحضارة لغة: جاء مدلول كلمة (الحضارة) في المعاجم اللغوية على انها: الحضارة بالكسر، الإقامة في الحضر، والحاضرة والحضرة والحضر، هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وعللوا ذلك بأنه اشتغال أهلها بالأمور التي تساعدهم على الاستقرار، وإدارة أمورهم المعيشية وترتيبها[6]. فمفهوم الحضارة بدأ يتطور شيئًا فشيئًا كلما تطورت الحياة الإنسانية في المجتمعات وتقدمت، وذلك شمل كل ما يتبع الاستقرار والإقامة من تعاون، وحسن الخلق، وتآزر، وتبادل الأفكار، والتفنن في الترف، وتبادل

المعلومات في جميع نواحي الحياة من علوم، وصـــناعة، وثقافة، وقانون وغير ذلك مما يؤدي إلى النهوض الحضاري[7].

فالحضـــارة كما أجمعت المعاجم اللغوية العربية، هي عبارة عن حالة من التمدن ضد البداوة.

الحضـــارة اصـــطلاحًا: لم يتفق الباحثون في التاريخ وعلم الاجتماع والحضـــارة على تعريف محدد لها، لكن تعريفهاتم اختلفت وفقًا لمعتقداتهم ومذاهبهم ومدار سهم، و سأذكر بعضًا من هذه التعريفات على سبيل الإيجاز لا لحصر، ومنها:

1. إنّ أول من عرف الحضـــارة هو ابن خلدون، حيث قال: هي أحوال عادية زائدة على الضـــروري من أحوال العمران زيادةً تتفاوت بتفاوت الرَفِه، وتفاوت الأُمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصـــر[8]، في حين رأى بعض البـاحثين ان مفهوم الحضـــارة عن ابن خلدون لم يعد يكفي لمفهوم الحضـــارة، لانه غير جامع لعناصـــرها، وذلك ما ذكره صـــاحب كتاب (المرجع في الحضـــارة العربية الإســـلامية) بقوله: «والحضـــارة بهذا المعنى الاصـــطلاحي عند ابن خلدون أضـــيق من الحضـــارة بالمعنى الاصـــطلاحي الحديث؛ لأَنها لا تُصِـــور إلا الجانب المترف من النشـــاط البشـــري، ولا تدخل في النشـــاط الديني، والخُلُقي، والعقلي»[9]، فمن خلال التعريف يتبين ان ابن خلدون لم يخرج عن المعنى اللغوي، فهو بين أن مفهوم الحضارة على انه ضد البداوة، وهذا يعود أما على التزامه بالمعنى اللغوي، أو انه لم يرى التطور الذي حصل للحضارات في العصر الحديث.
2. عرفها مـالـك بن نبي: « بـأنهـا جملـة من العوامـل المعنويـة والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضـــو فيه جميع الضـمانات اللازمة لتطوره» [10]، فمالك بن نبي يرى أن هناك جملة من العوامل تساعد المجتمعات على التطور الحضاري.
3. وعرفها حســين مؤنس: «هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنســان لتحسين ظروف حياته سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود و سواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية»[11].
4. وعرفها ول ديورانت: بأنها«نظام اجتماعي يعين الإنسـان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضـــارة من عناصـــر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون» [12].
5. وعرفت أيضًـــا: بأنها «ذلك العطاء الكلي لإنجاز المجتمع المتمثل في الجـانـب المعنوي الـذي يشـــمـل: الـدين، والقيم، والأهداف، والعادات، والتقاليد، إضـــافة الى الحصـــيلة الفكريـة من: أدب، وعلم، وفن، وفلســـفـة، وغير ذلـك، وفي الجانب المادي الذي يشـــمل: التطور الذي يشـــهده العالم كل يوم من وسائل العمل، والصناعة، والأبنية، إلى غير ذلك»[13]

ففي هذا التعريف جمع البـاحث بين جانبين: الجـانب المعنوي المتمثل بـالثقـافـة، والجـانـب المـادي المتمثل بـالمـدنيـة وبهـذين الجانبين تتكون الحضارة.

فالمتأمل في واقع المسـلمين اليوم يجد أنهم يعيشـون في غيبة حضـارية شـاملة، وانهم لا يمارسـون مهمة الخلافة في الأرض إلا في حدود بدائية لا ترقى إلى حافة التحضـــر، ولا حتى قريبة منها، وذلك ما نراه في كل من شـقي التحضـر: الترقي الذاتي للإنسـان، حيث يعيش المسـلمون فيما يحفظ وجودهم على ما يوفر لهم غيرهم من أسباب الحياة الضرورية بل أسبابها الحاجية والتحسينية.

المبحث الأول

مظاهر اختلال الفكرة الإسلامية.

المقصـــود بالفكرة ما يقع بالأذهان موقع الاقناع من رؤى تفسـر الوجود والكون والحياة. فالفكرة هي العامل الأسـاسـي في نشوء الحضارة وتطورها، على معنى أن الصورة التي تحصل لدى أمة من الأمم عن حقيقة الوجود والكون والحياة وهي التي بحسـبها تندفع في الإنشاء الحضاري[14].

يبين عبد المجيد النجار ان الفكرة بالنسبة إلى الأمة الإسلامية المقصـود بها هي العقيدة الإسـلامية بمفهومها العام من حيث حقيقة الوجود على انه إله مطلق الكمال، وعالم مخلوق ومدبر بأمره، وفيما يتحدد غاية الحياة على أنها خلافة لله في الأرض[15].

فالفكرة الإسـلامية حينما نتأملها عند المسـلمين الأوائل حيث كانت حقيقتها كما جاء بها الوحي لم يصبها خلل كما أصـاب الفكرة اليوم في عقول عامة المسلمين، وهذا الخلل أصاب عناصر أساسية من الفكرة الحقيقة، فشـكل عائقًا من عوائق الانطلاق الحضـاري، وكان سببًا من أسباب غياب المشروع الحضاري، حيث قال في هذا الصـدد: « وحينما نتأمل الفكرة الإسـلامية في حقيقتها كما جاء بها الوحي تأملًا نحدد بها كلياتها ومحاورها الأسـاسـية، ونتبين ما تنطوي عليه من قوة انشـائية للتحضـــر، وانبنت عليه منطقيًا في ذاتها، وأفضـت اليه واقعيًا في تجربة التحضـر الإسـلامي في عهد الشـهود، حينما نتامل ذلك، ونقارنه بما هو حاصـل اليوم في عقول عامة المسـلمين من هذه الفكرة فأننا نقف لا محالة على تفاوت بين الأصـل الحقيقي، وبين ما هو حاصـل بالفعل. ويتمثل هذا التفاوت في خلل أصـاب عناصـر أسـاسـية في الفكرة الحقيقة... فكان ذلك الخلل يشـكل عائقًا من عوائق الانطلاق، وسـببًا من الأسـباب التي تشد الأمة إلى واقع الغياب الحضاري» [16].

فدافعية النهوض الحضاري للمشروع الإسلامي تكمن في تحمل الامة للفكرة الإسلامية (العقيدة)، حيث بين ذلك الدكتور عبد المجيد النجار بقوله: « ولكن هذه العقيدة يتوقف عملها في الدفع الحضاري على كيفية تحمل المسلمين لها. فإن كان تحملها يجري على حال صفاتها وصحتها كما جاءت عليه في حقيقتها من جهة، وكان يجري من جهة أخرى على عمق من النفوس بحيث تأخذ بمجامعها، وتحشد قواها، أفضى ذلك إلى الدفع الحضاري، وإن كان ذلك التحمل يجري على حال تكون فيه صورة العقيدة على انحراف وتشويش أو تجزئة واختصار، وكان من جهة أخرى يجري على حال لا تتجاوز فيه العقيدة مجرد أفكار وخواطر ومعلومات تقع في الأذهان، ولا تنفذ لتأخذ بمجامع القلوب، فإنها حينئذ تتعطل دافعيتها للنفوس، فلا يكون لها أثر يذكر في الفعل الحضاري، ويكون إذن التراجع والانحسار في التحضر، ويكون العجز عن النهوض لاستئنافه من جديد»[17].

فالفكرة الإسلامية تتقوم على عناصر أو أركان ثلاثة: حقيقة الصورة الوجودية التي تقوم على محورية الوجود الإلهي، وغاية الحياة الإنسانية التي تقوم على الخلافة في الأرض، وعلاقة الإنسان بالكون التي تقوم على الارتفاق، ففي كل ركن من هذه الأركان أصابه خلل عند عامة المسلمين.

أولًا: انحلال مركزية التوحيد

مركزية وحدانية الله هي جوهر الفكرة الإسلامية، وهي التي تنظم عناصر الفكرة واجزائها، فلا يكون شيء منها إلا وهو ناشيء من الوحدانية ومرتبطًا بها ارتباطاً متيناً [18].

فالفكرة الدينية تعدّ المحرك لكل التغييرات الإنسانية التي حصلت في التاريخ، وذلك ما يبينه مالك بن نبي بقوله: « كل ما يغير النفس، يغير المجتمع، ومن المعلوم أن أعظم التغييرات واعمقها في النفس، في وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية»[19].

فالعقيدة الإسلامية هي الأساس في بناء الحضارة، وباعث من بواعث الانطلاق الحضاري، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: «فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها...فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، ويكون للناس شرعة ومنهاجًا، أو هي تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام»[20].

من أجل رفع مكانة العقيدة الإسلامية الأساسية في جوهر الأمة واتجاه الفكر والحياة، يبين لنا ذلك ابن عاشور بقوله: «وهذا راجع إلى موقع العقيدة الدينية من المقومات لكيان الامة، فإن موقع العقيدة الدينية من مقومات الكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية باعتبارها مجتمعًا دينيًا بالمعنى الأخص، وهو موقع رئيس جوهري كان فيه الدين العامل الأول المباشر لصنع المجتمع، وكان هو الحافز لنهضته الفكرية، والممهد له طريق الاتصال بما أنتجت من الأفكار والصنائع...فبالدين فكر، وبالدين تحضر، وبالدين انتج آثار حضارته، وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته»[21].

إن مركزية التوحيد المتعلقة في أذهان بعض المسلمين اليوم أصبحت فكرة مجردة، بسبب ما ادخل فيها بعض التشويه والاضطراب، وفي ذلك يؤكد عبد المجيد النجار بقوله: «أن حقيقة التوحيد اليوم كما هي عند عامة المسلمين فكرة مجردة تكاد تتمخض لصورة الذات الإلهية المتفردة بصفة الألوهية، نافية في الأذهان تعدد الإله، وواقفة عند ذلك الحد في الفعالية والتأثير»[22].

فالفكرة الإسلامية في ذهن المسلم اليوم مشتتة حتى أصبحت هذه الفكرة خليط متدابر، ومن دون أي رابط يربطها وهذا ما أكده عبد المجيد النجار حيث يقول: « الفكرة بالمعنى العام الموسع التي تعمر ذهن المسلم اليوم، أنها خليط متدابر، لا ينظمها ناظم، ولا يوحدها مركز مشرف، ولذلك أثر بعيد في الإعاقة عن الانطلاق الحضاري»[23].

ومن ثمّ تعاني الأمة الإسلامية اليوم من الخلل في الفكرة الإسلامية، وذلك بسبب انحرافها عن العقيدة الإسلامية والتي تعد أساس بنائها الفكري وتقدمها الحضاري، فهذا الانحراف يمثل عائقًا من عوائق النهوض الحضاري للأمة الإسلامية.

ثانيًا: قصور الرؤية عن غاية الحياة.

إن غاية الإنسان في هذه الحياة هي خلافة الله في الأرض، ولذلك قال الله تعالى:(**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**)[24]، فالإنسان في هذا لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدى، وإنما خلق لغاية وحكمة. لم يخلق لنفسه، ولم يخلق ليكون عبداً لعنصر من عناصر الكون، ولم يخلق ليتمتع كما تتمتع الأنعام، ولم يخلق ليعيش هذه السنين التي تقصر أو تطول، ثم يبلعه التراب ويأكله الدود ويطويه العدم.

إنه خلق ليعرف الله ويعبده، ويكون خليفة في أرضه، خلق ليحمل الأمانة الكبرى في هذه الحياة القصيرة: أمانة التكليف والمسئولية، فيصهره الابتلاء وتصقله التكاليف، وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء والأبد الذي لا ينقطع.

فلما قصرت فكرة معرفة الإنسان غايته في الحياة أصبح هناك خلل بين وواضح عند بعض المسلمين اليوم، فحصل لديهم

اشـــكال في هذه الرؤية فأنهم يرون تحصـــيل النجاة في الآخرة لا تكون إلا بـاعتزال الـدنيـا والزهـد فيهـا وإلغـاء العمـل فيهـا تعميرًا للأرض وشهادة على الناس[25].

فإن التصـــور لغاية الحياة لا بد ان يكون من تلك الصـــورة الحقيقية الواضـــحة التي جاءت بها تعاليم الدين الإســـلامي، التي حملها المسـلمون الأوائل أجيال الشـهود الحضـاري، المتمثلة بقوله تعـالى: **(قـل أن صـــلاتي ونســـكي ومحيـاي ومماتي لله رب العالمين)**[26]، والتي تحدد غاية الفرد المســلم في الحياة بتحقيق عبودية الله وابتغاء مرضـاته، وتكون تلك الغاية حتى الممات أيضًـا بأن يكون المسـلم «ثم يتحرى أن يموت ميتة مرضـية لله تعالى فلا يحرص على الحياة لذاتها، ولا يخاف الموت فيمنعه الخوف من الجهاد في ســبيل الله لإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة ميزان العدل، والأخذ على أيدي أهل الجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[27].

إن هذه الغاية ذاتها التي استشـعرها ذلك الأعرابي الذي آمن بالنبي صـــلى الله عليه وآله وســـلم واتبعه، ((ولما كانت غزوةٌ غنم النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فقَسَم وقَسَم له، فأعطى أصحابَه ما قَسَم له وكان يَرْعى ظَهْرهم (أي هذه كانت مهمته العسكرية في الغزوة وهي حماية ظهور المقاتلين). فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْم قَسَمه لك النبي صـلى الله عليه وسـلم، فأخذه وجاء إليه عليه الصلاة والسلام وقال له :ما على هذا اتّبعتك ولكنّي اتّبعتُك على أن أُرمى ها هنا - وأشـــار إلى حلقه - بســـهم، فأموتَ، فأدخُلَ الجنة! فقال له النبي صـــلى الله عليه وآله وســـلم: ((إن تَصْـــدُقِ الله يَصْـــدُقْك)). فلبثوا قليلاً ثم نهضـــوا في قتال العدو، فأُتي به يُحمَل قد أصـابه سـهم حيث أشـار! فقال النبي صـلى الله عليه وسـلم: أهوَ هو؟ قالوا: نعم، فقال: ((صـــدقَ الله فصـــدقَه))[28]، هذا الأعرابي فهم الغرض من الحياة، وهو غاية تبدأ بتأييد القيم التي اتبع عليها الرســـول (ρ)، وهي قيم الحرية والعدالة، وإنقاذ الإنســـان من الضلال والاستعباد، ثم ينتهي بنعيم الجنة في الآخرة.

أن الفهم القاصـــر للرؤية الفكرية لغاية الحياة تشـــكل عائق أمام النهضة الحضارية، وذلك ما آكده الدكتور عبد المجيد النجار بقوله: «ان وضوح الرؤية الفكرية لغاية الحياة إذا قيست به الرؤية التي يحملها عامة المســـلمين اليوم بان فيها القصـــور جليًا، ولذلك آثاره البالغة في الإعاقة عن النهضة» [29].

فالرؤية الفكرية لغاية الحياة عند المســـلمين اليوم تشـــهد قصـورًا جليًا مما جعلهم يتخلفون عن الركب الحضـاري، فشـكل ذلك الخلل أو القصـور عائق من العوائق الحضـارية التي تواجه الفكرة الإسلامية.

ثالثًا: ضعف الصلة بالكون

من مظاهر الفكرة الإسـلامية تلك الصـلة المتينة التي تربط الإنسـان بالكون، فالبيئة الكونية هي المسـرح الذي يتم عليه انجاز الخلافة.

خلق الله الإنسان وسلحه - لتمكينه من القيام بمهام الخلافة - بأوامر فطرية وتكوينية وأوامر تشـــريعية وعبادية، وفي المقابل ترك له مساحة لحرية الإنسـان ؛ إنها أسـاس الثواب والعقاب، في تفاعلها - إيجابًا وسلبًا - مع القوانين الفطرية والكونية والتشريعية. وفي ضـــوء هذه الرؤية الإســـلامية لعلاقة الإنســـان بالكون ... والأنظمة الإلهية والعالمية والتشـريعية؛ تتجلى الفرصـة البشـرية المتاحة له في الحرية والإرادة، وتتجلى (المعادلة) الإنســـانية المتوازنة، القائمة على إضـــفاء الشـــرعية على الحرية من جهة، ورفض نظريات الحتمية التاريخية أو الحتمية من جهة أخرى. إنه ليس أجمـل من القرآن الكريم، ويرفض الحتميـة الجمـاعيـة، أو الحتمية الفردية، ويوجه الرأي القائل بعدم وجود حتمية هنا أو هناك، وإلا فإن معنى (المسؤولية) غائب وغير موجود، وبالتعالي انعدم معنى الثواب والعقاب، حيث قال الله تعالى: **(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَـــبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَـــبْتُمْ وَلاَ تُسْـــأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[30].

الإنسـان - لأنه عبد الله، الذي يخضـع لقرار الله وشـريعته - ليس مجبرًا أو آلـة مـدفوعـة بـأي عوامـل، بـل هو قبـل أي مؤثر المســـؤول الأول عن صـــناعة الحضـــارة، وهو المحرك الأول للحضـــارة في مرحلة نموها واســـتمراريتها وازدهارها، وفي مرحلة انحدارها أيضًا.

فعلاقة الإنسـان بالكون اليوم نجدها عند عامة المسـلمين قد أصـابها وهن كبير، وذلك بسـبب انحلال أو ضـعف في الرابطة التي أسـسـها القرآن الكريم، والتي كانت عليها أجيال الشـهود من المســـلمين الأوائل، ويقول في هذا الصـــدد الدكتور عبد المجيد النجار: «وحينما نستكشف اليوم رابطة الكون بالإنسان، ومنزلته في نفســـه كما هي قائمة في أذهان عامة المســـلمين، فإننا نلفيها رابطة أصـــابها وهن كبير، حتى لكأنه أصـــبح لا يقوم في تلك الفكرة إلا صـورة باهتة خفيفة الوقع، هامشـية الموضـع في مجمل ما يعمر الأذهان من الرؤى والأفكار، وذلك كله بسـبب انحلال أو ضـعف في كثير من الخيوط التي كانت تشـكل الرابطة التي تربط الإنســـان بالكون في الفكرة التي أســـســـها القرآن الكريم، والتي استقرت عند أجيال الشهود»[31].

قال الشـيخ محمد رشـيد رضـا: « إن إرشـاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنًنا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علًما من العلوم

المدونة، لنستمد ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها، أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وبينها العلماء بالتفصيل»[32].

فإن التخلف الحضاري الذي يشهده واقع المسلمين اليوم، كل ذلك بسبب جهلهم بالسنن الإلهية للكون، حيث يقول الغلبزوري: «ويمكن الجزم أن واقع المسلمين اليوم من التخلف الحضاري والتدهور الاجتماعي، وذهاب القوة والعزة والسلطان، إنما يعزى إلى جهلهم بالسنن الإلهية في الآفاق والأنفس والمجتمعات، ولا سبيل إلى التقدم والرقي والنهضة واستئناف الدورة الحضارية إلا بفهمها وفقهها، وحسن التعامل معها، واتقان تسخيرها واستثمارها واستشراف مستقبلها»[32].

فعندما تعطل النظر في السنن والآفاق عند المسلمين اليوم أدى بهم ذلك إلى الانحسار الحضاري.

إن العلم بالكون اليوم في أذهان المسلمين لم يحظ باهتمام واسع، فجعلوه علماً ثانوياً، يؤكد عبد المجيد النجار ذلك بقوله: «فقد استقر منذ زمن الأذهان أن العلم الحقيقي الجدير بالاعتبار إنما العلم بالدين، أما العلم بالكون فهو درجة ثانوية لا تبلغ مبلغ الضرورة، وقد بني تقسيم العلوم عند الكثيرين على هذا الأساس»[34].

ويمكننا أن نقول: إن الانحسار الحضاري، الذي يعاني منه المسلمون اليوم كان بسبب العدول عن الانضباط والانسلاك بالسنن، التي شرعها الله للشهود الحضاري (الشهادة على الناس والقيادة لهم) : ونخشى أن نقول: إن بعض علل الأمم السابقة التي حذرنا الله منها، والتي كانت سبب انحسارهم الحضاري تسربت إلى المسلمين، في عصور التخلف والانسلاخ عن الدين، وهي ما يمكن أن نعبر عنه بالغزو الفكري في المجال الديني: من عدم الاعتقاد بثبات السنن، والتوهم بأن الاعتقاد أن الأسباب توصل إلى النتائج يتعارض مع الإيمان بقدرة الله الذي شرع الأسباب وقدر أن تكون موصلة للنتائج، ويناقض التوكل، ويتعارض مع قدر الله، فكان العدول عن كشف السنن، هو الذي أورثنا الاستنقاع الحضاري، الذي نعاني منه ونظن أننا أكثر إيمانا ويقينا، كما فعل رجال الكنيسة، فأوقفوا عجلة الحضارة والتقدم العلمي[35].

المبحث الثاني

أسباب اختلال الفكرة الإسلامية

من يتأمل في حقيقة الفكرة الإسلامية كما هي في مصدر الوحي، وكما كانت عند الأجيال السابقة من الصحابة ومن بعدهم، وبين صورتها وكما هي في أذهان المسلمين اليوم، وأن التأمل يوجهه حتمًا إلى الأسباب التي تسبب الخلل، وتعوق الصورة الحاصلة عن ان تنعدل لتطابق الأصل. فإن هناك جملة من الأسباب أدت إلى اختلال الفكرة الإسلامية كما ذكرها عبد المجيد النجار وهي كالآتي:

اولًا: ضعف الصلة بالوحي:

ومصدر الفكرة الإسلامية هو الوحي المتمثل بنصوص القرآن والحديث، وهذا المصدر هو مصدر البناء لمادة الفكرة برمتها وأجزائها، كما أنها مصدر طاقة للحفاظ على هذا البناء، والحفاظ على تأثيره وفعاليته في النفوس؛ وذلك لأن العقيدة الإسلامية المعبر عنها هنا باعتبارها الفكرة لا تستمد استحقاقها وقوتها من نفسها فقط، بل تستمدها أولاً بالنظر إلى مصدرها من الوحي، وهذه خاصية تميز الأفكار الدينية من بين الأفكار الموجهة للحضارات، ومن بين الأفكار الدينية الفكرة الإسلامية لمبدأ الشمولية الذي يقوم عليه الإسلام[36].

ومن ثم يبين أيضًا عبد المجيد النجار أن من الأمور التي أدت إلى ضعف صلة المسلمين اليوم بالوحي هو نظام التعليم السائد في العالم الإسلامي، حيث أن التعليم ذو صبغة علمانية غالبة على الصبغة الدينية، حيث يقول: « إذا تجاوزنا في هذا الشأن التعليم السائد في العالم الإسلامي، وهو التعليم ذو الصبغة العلمانية الغالبة إلى التعليم ذي الصبغة الدينية»[37].

فالمتتبع للمقررات الدراسية اليوم في النظم التعليمية نجد أن مفاهيم التوحيد وما يتصل بها تستند فقط إلى آيات واحاديث، من غير شمول وعمق في الفهم، بحيث لم يتطرق إلى قضايا حقيقة الإنسان وغاية حياته، وحقيقة الكون وعلاقة الإنسان بها، فهذا الضعف يشكل عائق من عوائق النهوض الحضاري، وفي هذا الشأن يقول عبد المجيد النجار: «ولك أن تتأكد من هذا المعنى بمراجعة مقررات المادة العقدية في هذه النظم التعليمية، وهي المقررات التي تبني في المتعلمين الرؤى والأفكار التي نحن بصدد البحث فيها، فإنك تجد مفاهيم التوحيد وما يتصل به تستند إلى آيات واحاديث، ولكن من غير شمول وعمق... وأما قضايا من مثل: حقيقة الإنسان وغاية حياته، وحقيقة الكون وعلاقة الإنسان به، فإنك تكاد لا تجد لها أثرًا في تلك المقررات أصلًا، فهي إذن ليست قضايا تستمد بقصد ووعي من المصدر القرآني، وإنما تترك مرسلة في مصادرها، وهي تمثل إذن مصدر ضعف كبير في الصلة بالوحي كمصدر لبناء الفكرة عند المسلمين في واقعهم الراهن»[38].

وعملية النهوض الحضـــاري وقودها الرئيس المعرفة المتجددة المتطورة التي تأتي من خلال التعليم، لأن كل ما نفعله يســتند إلى هذا النوع من المعرفة، فلكي نعيش يتعيّن علينا بكل بساطة أن نحول الموارد المتاحة لنا إلى الأشياء التي نحتاج إليها، وهو ما يتطلب تجديداً في المعرفة، وإذا أردنا أن نعيش في الغد أفضل مما نعيش اليوم، وإذا أردنا أن نرفع مستوى حياتنا بوصفها أسرة أو بلد، وأن نحسن صناعتنا، ونعلم أولادنا أفضل تعليم، وأن نحافظ على بيئتنا المشـــتركة... فكل هذا يتطلب معرفة تتحســن وتتطور يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة[39].

ثانيًا: التقليد الموروث

من الأسـباب التي ذكرها عبد المجيد النجار التي تؤدي إلى الإعاقة الحضـــارية للأمة الإســـلامية التقليد للموروث، فعندما ضـعفت الصـلة بالقرآن والحديث في بناء الفكرة الإسـلامية، جعل الخط السـائد هو التقليد للموروث في بناء الصـورة الفكرية، فنجد اغلب المؤلفات والكتب التي وضـعت لغاية تعليمية أو تربوية من أجل تشكيل الفكرة الإسلامية في عقول المسلمين، مبنية على آراء وأفهام السـابقين من الأشـخاص والمذاهب اكثر ما هي مبنية على معاني القرآن والأحاديث، وإذا ظفرت فيها بشـــيء من الآيات والأحاديث فانها غالبًا ما ترد اســـتشـــهادات على آراء وأفهام مؤيدات لها، لا منطلقات أساسية منها تنبع تلك الآراء والأفهام[40].

يتســـبب تقليد الموروث في حدوث خلل في بنـاء الفكرة الإسـلامية الصـحيحة، حيث تنقطع عن مصـدرها الأصـلي من نصـــوص الوحي، ومن ثمّ فإن هذا التقليد هو عقبة أمام النهوض الحضـــاري، وفي هذا الشـأن يقول عبد المجيد النجار: «ومن ثمة يتسرب الخلل في الصورة التي تؤخذ بالتقليد مبتوتة عن مصدرها الأصـــلي نصـــوص الوحي، وعلى هذا المثال تقاس مجمل الفكرة الإســـلامية فيما آلت اليه من التقليد لموروث الآراء والأفهام مما كان له الأثر البالغ في الإعاقة عن التفعيل»[41].

ثالثًا: التأثر بالوافد:

يجب أن تنعكس خصوصية كل مجتمع بشكل أو بآخر على مشـــروعه الحضـــاري، وأي إخلال بالاســـتعارة أو التزوير أو الترقيع يجب أن يشكك في جدوى ذلك المشروع، ومصداقية ذلك المشـــروع، كما أنه يضـــر بصـــدقه في التعبير عن الواقع الذي يتعامل معه، وفي هذا أهم خصـوصـية في الحضـارة الإسـلامية متمثلة في ذلك الوحي الإلهي، فهو سر نهضتنا[42].

ولا يمكن تحقيق ذلك التطور وتصـــحيح مســـار تحركاته وبناء نهضة حقيقية إلا من خلال إيضاح أهم التحديات التي تواجه مجتمعاتنا وتهديد ســـلبياتها وتحديد معالمها واســـتيعابها أبعادها لتكون قادرة على وضع الاستراتيجيات والخطط والبرامج العملية للاستفادة من مزاياها، تجنب مخاطره وسلبياته.

يشير عبد المجيد النجار إلى أن الأمة الإسلامية في العصر الحديث تعرضـت لغزو ثقافي عنيف، وتسـللت رؤى وأفكار حول نفس موضـــوع الفكرة الإســـلامية المتعلقة بواقع الوجود والكون والحياة، من خلال الفلسفات السائدة القائمة في مجملها على الفكرة المادية، وان كانت تظهر في مظاهر مختلفة[43].

فهذا التأثر بالفلســفات الغربية وبالغزو الثقافي الغربي أدى إلى إزهـاق كثير من مصـــطلحـاتنـا العقـديـة، حيث يقول علي شريعتي: «إن أحد الوجوه المختلفة لهجوم ثقافة الغرب على ثقافتنا: مسخ وإزهاق روح الكثير من اصـطلاحاتنا. حيث إنّ اصـطلاحًا أو كلمة ما تتضـــمن طراز عقيدتنا وتنطوي على روح ورؤية ثقافتنا وقيمنا العقديّة والمعنويّة. ومن هنا إذا أمكن مســـخ أيٍّ من هذه المصـــطلحات وتدميرها، فســـوف يموت بشـــكل طبيعيّ ما تنطوي عليه هذه المصـــطلحات من فكر وروح، ويدفن محمول الكلمة المعنويّ»[44].

إن حالة الضـعف الحضـاري التي تمر الأمة الإسـلامية به اليوم يجعلها على قابلية التأثر بهذا الوافد من جهة، وارتباطها بمصـدر أفكارها الأسـاسـية صـلة ضـعيفة من جهة أخرى، لان الأفكار الوافدة كان لها الأثر في مداخلة التصـور الإسـلامي الحق لدى شـق من المسـلمين، فالفكرة التي تتغلغل في أذهان المسـلمين تحمل أثرًا من الفلسـفات الغربية بالنسـبة إلى البعض، فهذا التأثر يشـــكل ظـاهرة ملحوظـة ذات أثر في الإعـاقـة عن النهوض الحضاري.

فهذا التأثر الذي أصـاب الأمة الإسـلامية وهو ما أشـار اليه مالك بن نبي بمصـطلح قابلية الاسـتعمار التي تسـكن نفوس أبناء هذا المجتمع، وتدفعهم مـن موقـع الدونيـة والتقليـد إلى تمثـل أشـــياء الغـرب وأفكـاره دون أي دراسة دقيقة وواعية بالتمايز الحضـــاري الشـــاســـع الموجود بين المجتمعات الإســـلامية والمجتمعات الغربية[45].

فبلغ هـذا التـأثير بـالوافـد مبلغـاً كبيرًا عنـد الكثير من المســـلمين، حيث أصـــيب ركن التوحيد في منظومة الفكرة الإسلامية بخلل كبير مما أدى إلى تضعضه، حيث انحسر مفهوم التوحيد في أذهانهم إلى توحيد ذات الله فحسـب، وفي هذا الشـأن يقول عبد المجيد النجار: «حيث انحســـر التوحيد في أذهانهم إلى

توحيد ذات الله فحسب، وانحسر من كل مجالات الحياة الأخرى لتبنى هذه المجالات في معزل عن توحيد الله ومقتضياته»[46].

ما نحتاجه اليوم إن نمحو تلك النظرة السلبية نحو أنفسنا وأن نكون نظرة جديدة تؤمن بأدنا قادرون على أن نمتلك زمام الأمور من جديد . ألاّ ننظر إلى ديننا على أنه يعيق تقدمنا ألاّ ننظر إلى تاريخنا نظرة خجل بل نظرة فخر واعتزاز نحتاج إلى أن نمحو من أنفسنا فكرة تأثر بالوافد والانبهار به.

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أن مظاهر الخلل التي أصابت الفكرة الإسلامية عند المسلمين متمثلةً في انحلال مركزية التوحيد، وفي القصور عن رؤية غاية الحياة، وفي ضعف الصلة بالكون، فهذه المظاهر موصولة بأسباب عدة كضعف الصلة بمصدر الوحي، وفي تقليد الموروث، وفي التأثر بالوافد، فهذه المظاهر والأسباب كان لها الأثر البالغ في إعاقة الإمة الإسلامية عن النهوض الحضاري.

المبحث الثالث

أثر اختلال الفكرة الإسلامية على النهوض الحضاري

كما بينا سابقًا في أن الفكرة الدينية هي العامل الأساس في ميلاد الحضارات وتطورها، باعتبارها «الصورة التي تحصل لدى أمة من الأمم عن حقيقة الوجود والكون والحياة، هي التي بحسبها تندفع في الإنشاء الحضاري، وهي التي بحسب طبيعتها تحدد منحى التحضر الناشئ وتطبعه بصبغة خاصة، بل وتحدد مصيره أيضًا»[47].

لهذا فانفصام العلاقة بين الفكرة الدينية كمبدإ في البناء الحضاري، وبين الأمة سيؤدي إلى انحراف مسارها الحضاري، بفقدان الأمة لمبررات وجودها بفقدانها للفكرة الدافعة لها، التي تعد رأسمال كل أمة تشق طريقها نحو الحضارة.

فهناك بعض الآثار التي أدت إلى اختلال الفكرة الإسلامية مما أدى ذلك إلى الإعاقة الحضارية للأمة، منها:

أولًا: أثر تشتت الفكرة في ارتخاء الإرادة الحضارية:

يقصد عبد المجيد النجار بتشتت الفكرة بانحلال مركزية التوحيد، فالفكرة كلما تكون بالغة في النفس الفردية والجماعية مبلغ الدفع إلى العمل في سبيل أظهارها واقعًا في الحياة حينما تكون في نسقها مركزة على مركز ثقل تتراجع اليها أجزاؤها، فتتجه بقوة نحو ذلك المركز الذي يحشد تلك القوة في حصيلة مجتمعة، فإذا هي بثقلها الحاصل باجتماع وجهتها تتعمق في النفوس وتأخذ بمجمعها، تحركها بقوة دفعها لتنطلق في انجاز مقتضيات الفكرة في الحياة العملية، ويحدث من ذلك انطلاق في سبيل البناء الحضاري[48].

وفي السياق نفسه يشير إلى ذلك أيضًا المفكر ابن خلدون في مقدمته في شرحه للتوحيد بقوله: «إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي، وإنما حصول فيه صفة منه تتكيّف بها النفس»[49]، فتكيّف النفس عند ابن خلدون هو تأثير الفكرة القائمة على التوحيد تأثيرًا يدفعها إلى الانطلاق الحضاري من خلال ترجمة مقتضيات الفكرة إلى عمل واقعي.

فلما أصبحت الفكرة مشتتة في أذهان المسلمين اليوم، ومفتقدها للمركز المجمع لقواها متمثلًا في مركزية التوحيد، حيث لم تبلغ الفكرة في النفوس مبلغ الدفع ولا مبلغ التكيّف كما عبر عنه ابن خلدون وذلك لان «النفوس لا تتحرك لتنجز مقتضيات الفكرة في الواقع: شهادة على الناس وتعميرًا في الأرض، إنه ارتخاء الإرادة الحضارية، معيق لها عن أن تنطلق في البناء، ناشئ إلى حد كبير عن هذا التشتت في الفكرة الذي قصُر بها عن أن تحدث في الإرادة التوتر الدافع إلى النهوض»[50].

إن علة ارتخاء الإرادة الحضارية هي خفوت التوتر، لكونه طاقة فعالة لضمان القوة والنشاط، وهو معيار تتحدد من خلاله تباين المجتمعات في فعاليتها، فالفاعلية الحضارية مشروطة بقوة التوتر ودرجته[51].

ويبين مالك بن نبي كل المسوغات والأسباب، والدوافع القريبة والبعيدة التي تدفع إلى إيجاد نشاط فعال إلى حالة خاصة هي التوتر، فالتوتر عنده حالة نفسية خاصة، ناتجة عن تأثير المبادئ – يقصد بالمبادئ الفكرة الدينية- في أنفس حامليها[52].

ويشير عبد المجيد النجار إلى أهمية الدافع الحضاري في المسار النهضوي للأمة الإسلامية حيث يقول: «إن الإنجاز الحضاري يتوقف من بين ما يتوقف على إرادة قوية، تدفع الأمة إلى تحويل الأفكار والخطط والبرامج إلى واقع عيني (ماديًا ومعنويًا)، فإذا تراخت الإرادة أو انهزمت لسبب أو لآخر ظلت تلك الأفكار حبيسة الأذهان، أو ظهرت إلى الواقع ظهورًا فاترًا ضعيفًا لا يرقى إلى صنع حضارة ذات شأن، وليست الإرادة الحضارية إرادة فكرية، بل هي إرادة جماعية، إذا فضلا عمّا يجب أن يتوفر في الأفراد من إرادة ذاتية تنشئها فيهم الفكرة التي يؤمنون بها، يجب أن يتوفر أيضًا معنى من الإرادة الجماعية التي تربط الأفراد جميعًا، وتوجههم توجيهًا مشتركًا نحوز الإنجاز بحيث يكون الإنجاز الحضاري ملتقى لإرادة الجماعة»[53].

وكذلك اليوم أصبحت المشاريع العلمانية هي الخطة البديلة عن الفكرة الإسلامية التي وضعت للنهوض الحضاري، فلم تعد

الفكرة المحرك والدافع للإرادة الحضارية لما تحمله تلك المشاريع من نشـاز في الأفكار، وفي هذا الشـأن يقول عبد المجيد النجار: «فلما وجهت الأمة للإنجاز الحضـاري وفق المشـروع العلماني، لم يسـتطع هذا المشـروع في مسـتوى الفكرة أن يجد من القوة ما يترسـخ به في النفوس، فيدفع إلى تحريك الإرادة لتنطلق موجهة الكيان الإسـلامي الفردي والجماعي لتحقيق التعمير، وإنجاز البناء؛ وذلك بسبب التشتت والتناقض الحاصل في مجمل الفكرة التي تحملها بفعل مناشـزة الأفكار المحدّدة للمشـروع العلماني لأفكار أخرى توحيدية... إنه خلل التشـتت في الفكرة الذي ترتخي معه الإرادة عن أن تنجز شيئًا من البناء الحضاري»[54].

وعليه فإن التشـتت في الفكرة يؤدي إلى الارتخاء وخفوت التوتر في الدافع إلى النهوض الحضـاري، بل لا بدّ من أن تكون الفكرة الإسـلامية لها الثقل في مركزية التوحيد من أجل إنجاز مقتضـيات الفكرة في الحياة العملية، وبذلك تكون هذه الفكرة هي الدافع للبناء الحضاري.

ثانيًا: أثر القصور في تصور غاية الحياة:

الغاية من الحياة هو الطاقة التي تدفع المؤمن إلى عمل الإنجاز من أجل تحقيقه على أرض الواقع، وعندما يكون الغرض من الحياة حالة ذهنية تتسم بقدر كبير من الوضوح والتعالي فهي أيضـًا قدر كبير من الدافع لتحقيق العمل في الواقع. على العكس من ذلك، إذا كان الهدف نفسه صغيرًا، أو قصير المدى، أو قريب المنال، أو غائمًا وغير واضـح، فإن فعاليته في الروح من حيث الزخم، وكذلك آثاره في دفع العمل وترشيده تضعف كثيرًا، وقد لا يعود في ذلك بشيء، فيكون البوار في المسعى الحضاري.

فغاية الحياة اليوم عند عامة المسـلمين غير واضـحة، وخصوصًا الغاية العليا للحياة وهي تحقيق الخلافة في الأرض من خلال رفع الظلم والاستبداد وإنقاذ البشرية، وبالتالي هذا القصور في فهم غاية الحياة أدى إلى الإعاقة الحضـارية، وفي هذا الشـأن يقول عبد المجيد النجار: «وضمن ذلك اختفت أيضًا عناصر غائية تشـتمل عليها الغاية العليا للحياة وهي الخلافة في الأرض، وذلك مثل انقاذ البشرية من الضلال والظلم والاستبداد. وهذا القصور والاضطراب والخفوت الذي أصاب رؤية المسلمين اليوم لغاية حياتهم كان له الأثر البالغ في الإعاقة عن الانطلاق الحضاري»[55].

وكذلك إن بعض المسـلمين جعل غايتهم في هذه الحياة مقتصـرًا على تلبية ضـرورات العيش، حيث يقول عبد المجيد النجار: «إن قصورهم في تصور غاية حياتهم كما هي في الفكرة الإسلامية واضحة وسامية أفضى قصورهم إلى قصور همهم عن أن تدفع بهم إلى الإنجاز الجاد الباني للتحضر فإذا بهم يقنعون في حركتهم بما يحقق لهم مطالبهم حياتهم القريبة التي تلبي ضـرورات العيش، ولا يجدون فيما وراءها ما يشـحذ عزائمهم للإنتاج والبناء، بل إن كثيرًا منهم يقنعون في ذلك بالحد الأدنى من مطالب العيش زهدًا في الدنيا، واستصـغارًا لقيمة الحياة فيها»[56].

وفي السياق نفسه يشير محمد الغزالي إلى سبب الضعف الحضاري للأمة اليوم، وهو ما عبر عنه بقوله: «إن ما ترون في شؤوننا ليس ما أنزل الله من كتاب، ولا ما قدم رسوله من أسوة، إن ما ترون من عوج أمة نسيت ما لديها ومضت مع هواها»[57].

وعليه فإن على المسلمين اليوم أن يدركوا حقيقة غايتهم في الحياة المتمثلة بفهمهم لمعنى الخلافة في الأرض، وذلك من أجل تحقيق النهوض الحضاري، وتقليل العوائق التي تعترضهم.

ثالثًا: أثر ضعف الصلة بالكون:

إن صلة الإنسان بالكون عقديًا ومعرفيًا وأخلاقيًا هي التي تحدد إلى حد كبير في قوتها وضعفها درجة فعاليته فيه، ومدى استعداده عليه للاستثمار والتعمير.

جاءت العقيدة الإسلامية بمفهوم واضح للكون ووظيفة الإنسان فيه، وهو تصور تتكامل فيه الروح مع المادة، ويتناغم فيها الغيب مع الشهود باعتدال يتناغم مع غريزة الإنسان. والحث على العمل وأخذ الأسباب في آن واحد، مع التأكد من الغيب الذي رُفع فيه القلم. لذلك كان الإسلام دافعًا لطلب العلم وإعادة إعمار الأرض. وكيف لا، والخلافة ركيزة الوجود الإنساني تنبع منه، وسفك الدماء وأكل أموال الناس ظلماً هي الخطوط الحمراء المحرمة. ومن تأمل آيات الله تعالى في القرآن التي تتحدث عن الكون، يدخل في صداقة عميقة معه، حيث يصبح التأمل وسيلة للإيمان بخالقه، مصدرًا للتعلم من دقته وترتيبه. ومجال واسع للإلهام من جماله وإحسانه، فيصبح الكون مؤنسًا، ومعلمًا، ومكانًا للتأمل والتدبر، ورفيقًا في التبتل والعبادة.

وفي السياق ذاته يبين عبد المجيد النجار على أن الحافز العقدي من أقوى الحوافز في الصلة بالكون، وذلك بقوله: «إذ الحافز العقدي أقوى الحوافز، وما انطلق المسلمون الأوائل في الأرض والبحر للبحث والتقصي إلا إنفعالًا بالدعوة القرآنية التي جعلت من مظاهر الكون طريقًا إلى معرفة الله»[58].

وكذلك فإن العلاقة بين الإنسان والكون في المنهج الحضاري قائمة على علاقة وئام واخوة، وليست علاقة عداء

وفرقة وصـــراع، فأشـــار إلى ذلك بقوله: «ويضـــرب هذا المعلم المنهجي الحضاري بجذوره في الأصل العقدي الثقافي الذي يحـدد العلاقة بين الإنسـان والكون، فهذه العلاقة في التصـور الإسـلامي هي علاقـــة قـــربى ووئـــام وأخوة، وليست علاقة عداء وفرقة وصراع»[59].

فالناظر إلى وضـع بعض المسـلمين اليوم يجد ضـعف في صـــلتهم بالكون، وذلك من خلال نظرتهم الدونية اليه، باعتباره مظهرًا ماديًا، ويعدّون التعمير في الأرض ضـربًا من الركون إلى الدنيا، حيث يقول عبد المجيد النجار: «وثمة شـــق آخر من المسـلمين أفضـــى ضـــعف صـــلتهم بالكون إلى النظر إليه نظرة دونية، باعتبارها مظهرًا ماديًا ينتهي إلى الدنيا الفانية، فإذا هم يزهدون فيه ويعدّون التعمير في الأرض ضـــربًا من الركون إلى الدنيا»[60].

ومن ثمّ فان هذه الصلة الضعيفة بين المسلمين والكون أدت إلى ضعف في فاعليتهم التعميرية للأرض.

وعليه فالنهوض الحضـــاري لا بد أن يكون وفق الفكرة الإســـلامية التي جاء بها المنهج الرباني، وذلك من أجل القيام بمهمة الاستخلاف، لان الفكرة هي المحرك الأساسي الذي يدفع بالأمة إلى الشـــهود الحضـــاري، ومن ثمّ، أي خلل يصـــيب هذه الفكرة يكون عائق عن النهوض لاستئناف ذلك الشهود.

الخاتمة

والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، الذي أعانني على انجاز هذا البحث، وفي الخاتمة أهم النتائج الآتية:

1. أن مفهوم الحضـــارة هي ذلك العطاء الكلي لإنجاز المجتمع المتمثل في الجانب المعنوي الذي يشـــمل: الدين، والقيم، والأهداف، والعادات، والتقاليد، فضـــلا عن الحصـــيلة الفكرية من: أدب، وعلم، وفن، وفلســـفة، وغير ذلك، وفي الجانب المادي الذي يشـــمل: التطور الذي يشـــهده العالم كل يوم من وسائل العمل، والصناعة، والأبنية، إلى غير ذلك.
2. الفكرة الإسـلامية هي العامل الأسـاسـي في نشـوء الحضـارة وتطورها، والتي تدفع نحو النهوض الحضاري للمجتمعات.
3. الفكرة الإســلامية تتقوم على عناصــر أو أركان ثلاثة: حقيقة الصـــورة الوجودية التي تقوم على محورية الوجود الإلهي، وغاية الحياة الإنســـانية التي تقوم على الخلافة في الأرض، وعلاقة الإنسان بالكون التي تقوم على الارتفاق.
4. الفكرة الإســـلامية أذهان المســـلمين اليوم صـــبغها العامة إسلامية، لكنها مصابة في بعض أركانها الأساسية بوهن أو تشـويه أو اضـطراب أو انحراف، فجعلها تميل إلى الإخلاد في الأرض.
5. الرؤية الفكرية لغاية الحياة عند المسلمين اليوم تشهد قصورًا جليًا مما جعلهم يتخلفون عن الركب الحضـاري، فشكل ذلك الخلل أو القصـور عائق من العوائق الحضـارية التي تواجه الفكرة الإسلامية.
6. إن الانحسار الحضاري، الذي يعاني منه المسلمون اليوم كان بسبب العدول عن الانضباط والانسلاك بالسنن، التي شرعها الله للشهود الحضاري (الشهادة على الناس والقيادة لهم).
7. مظاهر الخلل التي أصـابت الفكرة الإسـلامية عند المسـلمين متمثلةً في انحلال مركزية التوحيد، وفي القصـور عن رؤية غاية الحياة، وفي ضـــعف الصـــلة بالكون، فهذه المظاهر موصولة بأسباب عدة كضعف الصلة بمصدر الوحي، وفي تقليد الموروث، وفي التأثر بالوافد.
8. الصـلة الضـعيفة بين المسـلمين والكون أدت إلى ضـعف في فاعليتهم التعميرية للأرض.
9. النهوض الحضـــاري لا بد أن يكون وفق الفكرة الإســـلامية التي جاء بها المنهج الرباني، وذلك من أجل القيام بمهمة الاستخلاف الذي يدفع بالأمة نحو الشهود الحضاري.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(1) محمد بن مكرم ابن منظور، لســـان العرب، دار صـــادر- بيروت، 1993م، 1284/7.

(2) محســـن عبدالحميد، تجديد الفكر الإســـلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا، 1995م، ص15.

(3) رائد شهوان، محاضرات في الثقافة الإسلامية، جامعة البلقاء التطبيقية - عمان، 1994م، ص10.

(4) مختار احمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصـــرة، عالم الكتب- القاهرة، 2008م، 229/3.

(5) سـلطان جاسـم، من الصـحوة الى اليقظة، مؤسـسـة أم القرى للترجمة والتوزيع- المنصورة، 2010م، ص17-18.

(6) ابن منظور، 197/4، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصـــحاح تاج اللغة وصـــحاح العربية، دار العلم للملايين - بيروت، 1987م، 533/2.

(7) توفيق يوسف الواعي، الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية،دار الوفاء- المنصورة، 1988م، ص16.

(8) عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر- بيروت، 1988م، 368/1.

(9) ابراهيم سلمان الكردي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، مركز اسكندرية للكتاب – مصر، 2008م، ص14.

(10) مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، دار الفكر المعاصر- بيروت، 2002م، ص41.

(11) حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، 1978م، ص13.

(12) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت، (د.ت)، 3/1.

(13) جنيد ساجد جهاد، المشروع الحضاري الاسلامي الجانب الفكري بين القدرات والعقبات انموذجًا، اطروحة دكتوراه، كلية الامام الاعظم الجامعة- بغداد، 2012م، ص27.

(14) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الاسلامي تونس، د.ت، ص18.

(15) المصدر السابق.

(16) المصدر السابق.

(17) عبد المجيد النجار، دور الاصلاح العقدي في النهضة الاسلامية، مجلة اسلامية المعرفة، المجلد 3، العدد31، 1995م، ص1.

(18) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص20.

(19) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر- دمشق، 1986م، ص80.

(20) مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر المعاصر- بيروت، 1986م، ص56.

(21) محمد الفاضل ابن عاشور، روح الحضارة الاسلامية، الدار العالمية للكتاب الاسلامي - بيروت، 1981م، ص74 – 75.

(22) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص20.

(23) المصدر السابق، ص21.

(24) سورة البقرة: الآية 6.

(25) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص22.

(26) سورة الانعام: الآية 162.

(27) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار- القاهرة، 1947م، 215/8.

(28) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ط2، 1406 – 1986م، 520/4، رقم الحديث، (1953).

(29) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص22.

(30) سورة البقرة: الآية 134.

(31) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص24.

(32) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 140/4.

(33) توفيق بن احمد الغلبزوري، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، كلية اصول الدين - جامعة القزويين- المغرب، د.ت، ص1.

(34) عبد المجيد النجار، العلم مفهومًا وغاية بين التصور الإسلامي وواقع المسلمين، مجلة منار الاسلام، 1988م، ص25.

(35) احمد محمد كنعان، ازمتنا الحضارية في ضوء سنن خلق الله، امتي للنشر الالكتروني، د.ت، ص113.

(36) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص26.

(37) المصدر السابق، ص27.

(38) المصدر السابق، ص27 – 28.

(39) علي سعيد اسماعيل، الخطاب الاسلامي التربوي، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية- قطر، 2004م، ص125.

(40) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص28.

(41) المصدر السابق، ص29.

(42) محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الأمة، د.ت، ص29.

(43) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص29 – 30.

(44) ابراهيم الدسوقي شتا، الثورة الايرانية الجذور ..الايديولوجية، الزهراء للاعلام العربي – القاهرة، 1988م، ص186.

(45) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر- بيروت، 1954م، ص57.

(46) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص30.

(47) المصدر السابق، ص18.

(48) المصدر السابق، ص32.

(49) عبد الرحمن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي - بيروت، د.ت، ص35.

(50) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص33.

(51) حمودة سعيدي، مقولة توتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، د.ت، ص243.

(52) مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر – بيروت، د.ت، ص58.

(53) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص71 – 72.

(54) المصدر السابق، ص33- 34.

(55) المصدر السابق، ص35.

(56) المصدر السابق.

(57) محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، نهضة مصر القاهرة، 2006م، ص4.

(58) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ص27.

(59) المصدر السابق، ص162.

(60) المصدر السابق، ص39.

المراجع

- ابراهيم الدسوقي شتا. الثورة الايرانية الجذور ..الايديولوجية. القاهرة: الزهراء للاعلام العربي، 1988.
- ابراهيم سلمان الكردي. المرجع في الحضارة العربية الاسلامية. مصر: مركز اسكندرية للكتاب، 2008.
- ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.
- احمد محمد كنعان. ازمتنا الحضارية في ضوء سنن خلق الله. امتي للنشر الالكتروني، د.ت.
- توفيق بن احمد الغلبزوري. السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم. المغرب: كلية اصول الدين - جامعة القزويين، د.ت.
- توفيق يوسف الواعي. الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. المنصورة: دار الوفاء، 1988.
- جنيد ساجد جهاد. المشروع الحضاري الاسلامي الجانب الفكري بين القدرات والعقبات انموذجًا. بغداد: كلية الامام الاعظم الجامعة، 2012.
- حسين مؤنس. الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.
- حمودة سعيدي. "مقولة توتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي." مجلة الموافقات بلا تاريخ.
- رائد شهوان. محاضرات في الثقافة الإسلامية. عمان: جامعة البلقاء التطبيقية، 1994.
- سلطان جاسم. من الصحوة الى اليقظة. المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، 2010.
- عبد الرحمن محمد ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت.
- عبد المجيد النجار. "العلم مفهومًا وغاية بين التصور الإسلامي وواقع المسلمين." مجلة منار الاسلام 1988.
- عبد المجيد النجار. "دور الاصلاح العقدي في النهضة الاسلامية." اسلامية المعرفة 31 3, 1995: 57-94.
- عبد المجيد النجار. عوامل الشهود الحضاري. تونس: دار الغرب الاسلامي، د.ت.
- عبدالرحمن ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار الفكر، 1988.
- عبدالمجيد النجار. "معالم المنهج الحضاري." مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث 2010: 160-175.
- علي سعيد اسماعيل. الخطاب الاسلامي التربوي. قطر: وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، 2004.
- مالك بن نبي. تأملات. بيروت: دار الفكر المعاصر، د.ت.
- مالك بن نبي. شروط النهضة . بيروت: دار الفكر المعاصر، 1986.
- مالك بن نبي. مشكلة الافكار في العالم الاسلامي. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2002.
- مالك بن نبي. ميلاد مجتمع. دمشق: دار الفكر، 1986.
- مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1954.
- محسن عبدالحميد. تجديد الفكر الإسلامي. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.
- محمد الغزالي. سر تأخر العرب والمسلمين. القاهرة: نهضة مصر، 2006.
- محمد الفاضل ابن عاشور. روح الحضارة الاسلامية. بيروت: الدار العالمية للكتاب الاسلامي ، 1981.
- محمد بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1993.
- محمد رشيد رضا. تفسير المنار. القاهرة: دار المنار، 1947.
- محمد مسعد ياقوت. حوار الحضارات وخناجر في جسد الأمة. د.ت.
- مختار احمد عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب، 2008.
- ول وايريل ديورانت. قصة الحضارة. بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، د.ت.